والنطفة كالربية بالكسر قوله هدى للمتقين يهديهم الى الحق على ان هدى مجاز من
الهادى وجعل الهادى بالهداية المستمرة المتجددة على التابيد بمنزلة نفس الهداية
والتكونه مجازا بقوله والهداية فى الاصل مصدر قوله لانه جعل مقابل الضلالة فى قوله
تع لعلى هدى او فى ضلال مبين اعترض عليه ان المقابل للضلال الهدى اللازم الذى بمعنى
الاهتداء لا الهدى المتعدى الذى بمعنى الدلالة واجيب بانه لا فرق بين اللازم والمتعدى
الا بان اللازم تاثر والمتعدى تاثير لان اللازم مطاوعة فمعنى قوله لانه جعل لان الهدى
اللازم المطاوعة للهدى المتعدى جعل فى مقابلة فى العبارة استخدام وكما كان مبنى
هذا الاستدلال على المطاوعة وترك دليل المطاوعة الذى ذكره الكشاف مع هذا الدليل
حيث قال ولان اهتدى مطاوع الهدى ولن يكون المطاوع فى خلاف اصله نبه على
ان الادلة الثلثة للكشاف وعند التحقيق دليلان ويتجه ايضا ان المقابل للهدى هو الضلال
المبين فيجوز ان يكون الضلال الغير المبين وهو عدم الوصول مع الدلالة داخلا تحت الهدى
فالاقوى فى بيان الوقوع فى المقابلة ما ذكره الكشاف حيث قال جعل فى مقابلة الضلالة
فى قوله تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وايضا هو الاوفق بالضلالة وقد ذكره
جعل الضلالة فى مقابلة الهدى قوله ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى عدل عن دليل
الكشاف حيث قال ويقال مهدى فى موضع المدح كمهتد لانه اورد عليه ان المهدى ايضا
مدح لان التمكن من الوصول ايضا كالوصول وما اجيب به من ان عدم الوصول مع التمكن
نقيصة يذم بها ليس بشىء لان التمكن مع عدم ظهور الاغراض عن الوصول فضيلة فيصح
ان يمدح بها نعم يمكن ان يجاب عنه بان الكشاف سوى بينهما فى المدح وتوهم بعضهم ان الوصول
فيه يكون فى المدح دون مهتد ولانه يرد عليه ان مقام المدح قرينة على ارادة الوصول
او التجوز به عن الوصول لكن عدم اطلاق المهدى الا على المهتدى ممنوع وبالجملة لعدم
ضعف الادلة عن كدر المناقشة ولكونها معارضة بقوله تع واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى وتايد عدم اعتبار الوصول فى معنى الدلالة بان الاصل هو العدم
وهو لا يحتاج الى دليل بخلاف الوجود ورجح كونه للدلالة المطلقة قوله واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه دفع به خفا التخصيص مع انه يعم الكافر
والمتقى لان القران نزل لارشاد كل عاقل ولا يخفى انه تعرض لوجه تخصيص لزم لا
محالة والا فلا يعض التقادير لزم التخصيص ببعض المتقين وهو تقدير ان يكون
المتقين موصوفا بما بعده وفى وجه التخصيص ان هداية المبالغة الى ان يتحقق بها

ان

ان يستمر نفس الهدى مختصة بالمتقين المخصوصين ويمكن ان يجعل هذا الوجه وجها للتخصيص
بمطلق المتقى لانه اولا لا يهدى الا الى التوحيد فاذا صار المكلف به موحدا ينفتح عليه
ابواب هدايات القران حتى انه يراه نفس الهداية ولم يتعرض لما اورده الكشاف من انه
كيف يكون هدى للمتقين وهم مهتدون وتوجيهه ان هداية المتقين على تقدير ان يعتبر
فيها الايصال تحصيل الحاصل وعلى تقدير ان لا يعتبر فيها ذكر القول لانه متكفل دفعه بحمل
المتقى على ثلث مراتب فلا يزال يهديه لما يرقيه من مرتبة من التقوى الى اقوى نعم فى المرتبة
الثالثة يحتاج الى دفع الشبهة فالشبهة لا يتوجه على النظم الكريم مطلقا بل على من يفسره
بالوجه الثالث من معنى التقوى فاشار الى دفعه بوجه اخر من انه سمى المشارف للتقوى
متقيا قوله اولانه لا ينتفع به الا من صقل العقل اى اجل العقل وجعله مجلوة من غبار
الغفلة والتمرد هذا وجه ثان لتخصيص الانتفاع بالمتقين فالوجه الاول نفى الانتفاع
بنصه ومعرفة كونه معجزا والثانى نفى الانتفاع بالتامل فيه ودرك حقايقه وقوله
وعلى هذا قوله تع شبه ان يكون مؤيدا للتوجيهين قوله لانه كالغذاء الصالح لحفظ
الصحة فيه انه كالدواء النافع ايضا فى دفع المرض كما يدل عليه قوله تع ما هو شفاء
فلينتفع به الكافر لدفع مرض الكفر والاقرب الى تمثيل الهداية انه كالمشير الى الطريق فلا
ينتفع باشارته الا من كان له عين واما الاعمى فلا يجوه ما لم يتنور بصيرته بنور
الايمان الا انه راعى مناسبة كلامه بما اورده من الاية الكريمة وكما ذكرنا ايضا ما يناسب
من قوله تع افانت تسمع الصم او تهدى العمى وقوله تع صم بكم عمى فهم لا يرجعون قوله كما لا يخلو
عن بيان هذا على مذهب الشافعية فانهم ذهبوا الى ان المتشابهات يعلمها الراسخون فى
العلم واما عند الحنفية لا يعلمها الا الله فتوجيه الهداية بها انما يهدى الى ان لله اسرارا
يستبد بها ولا يعرفها احد قوله وهو فى عرف الشرع لمن يقى نفسه عما يضره فى الاخرة
فان قلت كيف يندرج صاحب المرتبة الاولى فى منطوق صيانة نفسه عما يضره فى الاخرة
فينبغى ان يقال لمن يصون نفسه حتى يندرج فيه قلت الخروج عن المقاصد الدنيوية
وترك ملة الاباء والاعتراف بخطائهم وخبثهم كما كانوا فى مبادى الاسلام فرط
الصيانة قوله ويتبتل اليه من اشتقاق التبتل التقطع والشرشرة بالمعجمتين مكررتين
والمهملتين اولهما ساكن القطعة من الشىء فالمراد التقطع الى الله تع بجميع اعضائه وقواه
عن كل ما سواه قوله وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته جعل
التقوى الحقيقى منحصرا فيه مع ان العرف المتعارف يشترط غيره مبالغة بجعل غيره فى جنبه

فانهم

منحصرا

Copyright © King Saud University